

****

جامعة المنيا

كلية الآداب

قسم التاريخ

**نيابة طرابلس الشام في عصر سلاطين المماليك**

(688 –922ه/ 1289– 1516م)

دراسة تاريخية

رسالة مقدمة من الباحث

شريف عبدالحميد محمد عبدالهادي

لنيلدرجة الماجستير في التاريخ الوسيط

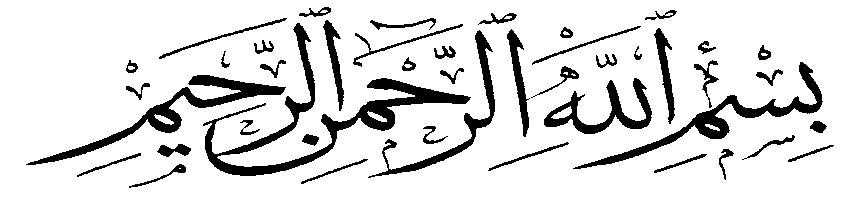
إشراف

الأستاذ الدكتور/ عادل عبدالحافظ حمزة

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

بكلية الآداب - جامعة المنيا

1432ه/ 2011 م



{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

إهداء

* إلى والدتي العزيزة التي علمتني الحرص على العلم؛ عرفانًا بفضلها وحنانها.
* إلى والدي الذي حرص على تعليمي، وتعب من أجلي.
* إلى أبنائي رمز البراءة والأمل والمستقبل المشرق.
* إلى كل من له فضل في مراجعة مادة هذه الرسالة قبيل مناقشتها، وتعب في صفها حتى أتت على هذا النحو رغم تعبه ومرضه، أسأل الله أن يجعلها في ميزان حسناته...، وإلى كل من كان عونًا في إخراج هذه الرسالة.

أهديهم هذا العمل المتواضع؛ عرفانًا بالجميل

**المقدمة**

المقدمة:

تطلبت ظروفُ الحياة البشريَّة ظهور مجتمع المدينة منذ فجر التاريخ، وعلى مر العصور ظهر العديد من المدن، بعضها قُدِّر له البقاء والخلود والاستمرار، وبعضها الآخر ظهر ليندثر وتعفى آثاره بعد فترة من الزمان قد تطول أو تقصر.

ولا شك في أنه من عوامل خلود بعض المدن وبقائها ما حظيت به من موقع فذٍّ، أو ما تتمتع به من ميزات اقتصادية أو مكانة دينية، وقد حفلت بلاد الشام بعدد من هذه المدن، بحكم ما تهيَّأ لها من جذور حضاريَّة ضاربة بعيدًا في أعماق التاريخ، ومن بين هذه المدن تبرز مدينة طرابلس اللبنانية أو طرابلس الشام على حد تسمية مؤرخي العرب، وذلك بحكم موقعها الجغرافي عند منتصف الطريق الساحلي الشرقي في البحر المتوسط، وهو ما جعلها ملتقى ومفترق الطرق العالمية، وهمزة وصل بين الشرق والغرب من الناحية التجارية، ومعبرًا للغزاة والفاتحين، ومحطة للمسافرين ورجال العلم والدين.

لذلك اتخذ المماليكُ من مدينة طرابلس عاصمةً لقسم من أقسام الشام الإدارية، والتي سميت نيابات الشام، وقد احتلت طرابلس مكانة مهمة في عصر سلاطين المماليك - على وجه الخصوص - لوقوعها في أقصى شمال غرب دولتهم، فكانت بمثابة البوابة الشمالية الغربية للسلطنة المملوكية، إضافةً إلى قربها من جزيرتي قبرص ورودس، فضلًا عن كونها ميناءً بحريًّا مهمًّا.

يضاف إلى ذلك أنَّ تطرُّف نيابة طرابلس عن قلب دولة سلاطين المماليك وعاصمتها في القاهرة - جعل سلاطين المماليك يترقبون دائمًا حدوث حركات معادية لهم من جانب نوابها ضدهم؛ لذا حرص سلاطين المماليك على اختيار النواب من بين الأمراء المعروفين بشجاعتهم الحربية ومهارتهم الإدارية، والعلاقة الطيبة والودية بهم، وقد تمتعت نيابة طرابلس الشام في عصر سلاطين المماليك بثروات مهمة أضفتْ عليها نوعًا من الأنشطة الاقتصادية؛ زراعة، وصناعة، وتجارة، انعكس دورها على هذه النيابة حضاريًّا.

لكلٍّ مما سبق كان اهتمامي بدراسة تاريخ تلك النيابة في هذا العصر؛ لبيان دورها من جهة، ولإكمال جهود من سبقني في دراسة تاريخ نيابات الشام من جهة أخرى، وخاصة أن أحدًا من الباحثين لم يقم بدراسة هذا الموضوع دراسة وافية من جميع جوانبه؛ حيث ظهرت دراسة الأستاذ الدكتور/ السيد عبدالعزيز سالم، بعنوان: "طرابلس الشام في العصر الإسلامي"، والتي تعرضت لتاريخ المدينة بشكل عام منذ الفتح الإسلامي لها حتى سيطرة العثمانيين على بلاد الشام عام 922ه/1516م، فكانت بمثابة السوار الذي يزين المعصم، إلا أن لها شرف السبق، ثم دراسة الأستاذ الدكتور/ عمر عبدالسلام تدمري - مؤرخ طرابلس الشام - التي ظهرت في جزأين، تناول أولهما: تاريخ المدينة منذ نشأتها حتى فتح المماليك لها، ثم الجزء الثاني الذي تناول تاريخها في العصر المملوكي، لكنه رغم ضخامة هذا العمل، فقد أورد أستاذنا الكثير عن آثار المدينة وعمارتها في الجانب الحضاري، ندر ذكر شيء عن الحياة العلمية والاجتماعية والدينية بها، اللهم إلا ذكر العلماء الوافدين عليها وعلماء النيابة نفسها، كما لم يذكر تفصيلًا الجهازَ الإداري بالمدينة، واكتفى بذكر أسماء النواب وفترات ولايتهم، ثم القضاة بمذاهبهم وما إلى ذلك.

وبذلك لم تظهر بعدُ دراسة كاملة عن نيابة طرابلس الشام في عصر سلاطين المماليك مشابهة لما ظهر من الدراسات لكثير من نيابات ومدن بلاد الشام في عصر سلاطين المماليك، ولا بد لي في إطار هذه المقدمة من ذكر شيء من المصاعب التي واجهت إعداد تلك الدراسة - ولا أقول ذلك التماسًا للأعذار، لكنها الحقيقة التي يؤكدها الكثير، فإنَّ مَن يتصدَّ لكتابة تاريخ طرابلس في (العصر الوسيط) - الحروب الصليبية والعصر المملوكي - يجد ندرة في المعلومات المفصلة عن هذا الجزء الجغرافي والطبيعي من بلاد الشام، وورود تلك المعلومات بشكل مبتسر أو مجتزأ أو مرورها عرضًا وبشكل موجز وغير مترابط؛ بحيث لا تتوفر للباحث مادة وافية بالمعلومات التاريخية، لا سيما أن طرابلس لم يصنفْ لها أو يسجل أخبارها ووقائعها التاريخية مؤرخٌ في تلك الحقبة؛ حيث استأثرت أخبار الخلافة والخلفاء العباسيين والفاطميين والأيوبيين ثم المماليك اهتمام المؤرخين، كما دوَّنوا تاريخ المدن الكبرى فظهرت مؤلفات: ابن عساكر (تاريخ دمشق)، ابن العديم (بغية الطلب في تاريخ حلب) وغيرهما.

ويبدو أن هذا التجاهل قد صاحب طرابلس على مرِّ تاريخها؛ حيث نجد أن المؤرخين المحدثين أمثال محمد كرد علي يذكرها على سبيل العرض والإجمال في مصنفه خطط الشام، ثم لم يظهر مؤرخٌ لها مثل محمد راغب الطباخ صاحب كتاب (تاريخ حلب الشهباء)، وهو ما يؤكد غزارة المادة التاريخية عن مدن الشام الكبرى وضحالتها بالنسبة لطرابلس موضوع الدراسة، وفي واقع الأمر إذا شئنا أن نسترسل في تعداد المعوقات التي تواجه الباحث لطال بنا الأمر؛ بحيث يخشى معه الخروج عن الموضوع الأساسي.

ولتحقيق أهداف الدراسة فقد قسمت البحث إلى: مقدمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة؛ حيث شرحتُ في المقدمة أهميةَ الدراسة ودوافعي لاختيارها، وعرضًا مختصرًا لفصول البحث، ودراسة لأهم المصادر المخطوطة والمطبوعة.

ثم تناولتُ في التمهيد اسم طرابلس وموقعها، ثم شيئًا عن تاريخها قبل عصر سلاطين المماليك؛ حيث ذكرت نشأتها والدول التي تعاقبتْ عليها من الفرس ثم الرومان، ثم الفتح الإسلامي لها ثم الدولة الأموية، ثم سيطرة بني عمار واحتلال الصليبيين لها.

أما الفصل الأول: وهو بعنوان: «طرابلس نيابة مملوكية»، فقد تناولتُ فيه دراسة قيام دولة سلاطين المماليك، وعلاقاتها مع الصليبيين في بلاد الشام عامةً، وفي إمارة طرابلس خاصةً، ثم محاولات المماليك السيطرة على طرابلس وفتحها، ثم ذكرتُ أعمال طرابلس - أقسامها الإدارية - التي أصبحتْ تابعة لها في عصر سلاطين المماليك بعد فتح السلطان المنصور قلاون لها سنة 688ه/1289م.

وأما الفصل الثاني: فهو بعنوان «نيابة طرابلس والقوى الخارجية»، فقد تناولتُ فيه بالدراسة والتحليل علاقة نيابة طرابلس بوصفها أحد أقسام بلاد الشام الخاضعة لحكم المماليك بالقوى الخارجيَّة غير الإسلامية مثل: الصليبيين في قبرص ورودس، وكذلك بالمغول في إغارتهم على بلاد الشام، وكذلك بالقوى الإسلامية مثل: الأرمن والتركمان، وأخيرًا الأتراك العثمانيين.

ثم اختص الفصل الثالث بإبراز «الوضع الإداري لنيابة طرابلس الشام في عصر سلاطين المماليك»؛ حيث عرضت فيه لأرباب السيوف وأرباب الأقلام، أو لأصحاب الوظائف الديوانية ثم أصحاب الوظائف الدينية، وقد ذكرت فيه مكانةَ نائب طرابلس بين نواب الشام.

وأما الفصل الرابع: فقد تناول «نواب طرابلس والسلطة المركزية في القاهرة»؛ حيث عالجت فيه علاقة نائب طرابلس بها من الخضوع لها حينًا أو الثورة ضدها أحيانًا، وعرضت فيه لأهم تلك الثورات المناهضة للسلطنة وموقف أهالي طرابلس منها، ثم أخيرًا علاقة نائب طرابلس بنائب السلطنة بالقاهرة.

ثم أوضحت في الفصل الخامس من الدراسة جانبين من الجوانب الحضارية في نيابة طرابلس؛ حيث تناولت بالدراسة «الحياة العلمية» بها من مؤسسات تعليمية تمثَّلت في معاهد العلم المختلفة في ذلك العصر من: مساجد وكتاتيب ومدارس وخانقاوات وأربطة ثم كنائس وأديرة، ثم عرضت بعضًا من مشاهير علمائها وأبرز من زارها من الرحالة والعلماء والأدباء، ومن جهة أخرى فقد تناولت بالدراسة «الحياة الاقتصادية» بها، عارضًا أهم ملامح النشاط الزراعي والصناعي والتجاري، ثم ذكرت أهم المنشآت الاقتصادية.

أما الفصل السادس فقد استعرضتُ فيه ملامح «الحياة الدينية والاجتماعية»؛ حيث ذكرت أهم المنشآت الدينية؛ من زوايا وخوانق ومساجد، وبعض الوظائف الدينيَّة من الإفتاء والقضاء، ثم عرضت للحياة الاجتماعية، وما يرتبط بذلك من طبقات المجتمع وطوائفه، ثم ذكرتُ أهم العادات والتقاليد، ثم أوضحت أثر الأحداث - الكوارث - الطبيعية على المجتمع الطرابلسي، وختمت ذلك بذكر العمارة بها.

وأخيرًا، فإذا كنت قد وُفِّقْتُ في معالجة هذا الموضوع، فإنما يرجع الفضل إلى الله أولًا ثم إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور/ عادل عبدالحافظ حمزة - أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب، جامعة المنيا، المشرف على هذه الرسالة، فقد وجدت فيه الأب الحاني، والباحث الفطن، والأستاذ الموجه الرفيق؛ إذ أعطاني من وقته وجهده الكثير والكثير، وأغدق عليَّ من عطفه ونصحه ما سأظل أدين له به، ولقد أفدت منه في الأخلاق والسلوك مثلما نهلت منه في المعارف والعلوم، فجزاه الله خير الجزاء.

كذلك أتقدم بالشكر الوفير، وجزيل العرفان والتقدير إلى أستاذي الأستاذ الدكتور/ عمر عبدالسلام تدمري – أستاذ التاريخ الإسلامي - بكلية الآداب، الجامعة اللبنانية (الفرع الثالث بطرابلس)، والذي أدعو الله أن يغمره بمزيد الصحة والعافية، وأن يزيده سبحانه قوة إلى قوته في العلم، فقد كان له الفضل الكبير في تزويدي بالمعلومات والمراجع والمصادر التي يحتاجها بحثي منذ بدايته حتى أصبح في هذه الصورة.

وأخيرًا، أشكر كلَّ من قدَّم لي يد العون والتسهيل في الحصول على المادة العلمية للبحث من أمناء مكتبات، وأخص بالذكر مكتبة دير الآباء الدومنيكان بالقاهرة، وأمين مكتبة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ومكتبة جامعة القاهرة المركزية، ومكتبة كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر بالقاهرة، ومكتبة جامعة الأزهر المركزية، ومكتبة معهد المخطوطات، ومكتبة دار الكتب، ومكتبة دار الوثائق بباب الخلق، ومكتبة كلية الآداب - جامعة المنيا، فإليهم جميعًا مني الشكر والتقدير عرفانًا بالجميل.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل